بما لم أعهده- كاتب النص- في الكتابات اللينينية التي كنت مستغرقا في التهامها، ورحت أقارن بينها وبين التاريخ الفلسطيني والعربي المفتون بقراءته... بما سمح لي بصورة عفوية اكتشاف مقولة لينين «تحليل ملموس للواقع الملموس» ولاحقا قلت (تبييء الفكر).

إن تأسيس تنظيم أو الانتقال بالنويات الأولى إلى مستوى تنظيم فاعل في السياسة، أي له ما يكفي من وجود منظم وإمكانات للصراع، إنما يتطلب حاضنة الزمن «فالزمن عامل العوامل» وفيه يمكن أن يتحقق التركيم... ومن بدايات تنظيمية هشة حلقية متناثرة إلى قاعدة منظمة تحوي مقومات الاستمرار باللغة الحزبية.

وتأمين هذه الحاضنة إنما يتطلب تامين قبضة لا تتعرض للاعتقال، قبضة من البنائين/ المؤدلجين/ الطلائعيين/ الذين يستأثرون بثقة غيرهم ويتكاملون مع غيرهم، كل من موقعه في تناغم وتعاضد وأحلام مشتركة. وهنا حضرت نماذج قيادة الحزب البلشفي، فهد في العراق، فرج الله الحلو في لبنان، حبش ووديع في فلسطين، جيفارا وفيدل، وهوتشي مِنْهُ، ونماذج من القيادات في التاريخ العربي...

«السعادة في النضال» ماركس، النضال بشتى صوره، نضال يراكم نجاحات، يبث معنى خاصا للحياة، ويخدم رسالة عظيمة، ويجعل صاحبه يقف على أرضية أخلاقية يتفوق فيها على العنصريين والاستغلاليين وقوى القهر، ولكن النضال ليس مجرد نزهة في البراري وحفلة شواء، واجتماعات في مكاتب وإصدار بيانات...فهو تضحية ومعاناة واعتقال وتعذيب، يضاف لها في ظروف التخفي الوحدة والحرمان من ابسط الأشياء الطبيعية وعدم الاستقرار وضغوط المكان وتباطؤ الزمان أحيانا، في انتظار معلومة أو اتصال أو تقرير أو....

(بوجه عام، قام الحزب بتأمين البيت السري ومن يرعى الجوانب الحياتية، وقليلة هي المرات التي وجدت نفسي فيها طريداً دون بيت، أو دون طعام، أو دون فنجان شاي، أو كهرباء وأحيانا تشتد المصاعب اتصالا بلحظات التحوط والمناقلات، وغير مستبعد أن تذهب لبيت لا يوجد فيه شيء من متاع الدنيا، ولكن هذه اللحظات مؤقتة، بل لربما أن تجربتنا الحزبية على هذا الصعيد قد تفوقت على أية تجربة أخرى في العالم من ناحية مستوى الرعاية، إلى درجة أن يتوافر جهاز تلفزيون صغير بالأبيض والأسود والجريدة، وان لم يكن بصورة يومية، والكتب، ووسيلة مواصلات مأمونة كلما دعت الحاجة .... لم نكن كالذئاب الجائعة، اذهب أنت وربك فقاتلا .... والأهم من كل ذلك هو توظيف الطاقة أي الفاعلية العقلانية، فأنا تخفيت لتأدية دور وليس نأيا عن السجن،